

العجائبية والبعد الديستوبي في الرواية الجزائرية المعاصرة

## Marvelous literature and the dystopian dimension in the contemporary Algerian novel

فتحي خيرة<sup>1\*</sup>، أ.د مسيردي مصطفى<sup>2</sup>

<sup>1</sup> جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، الجزائر، fathi\_kheira@hotmail.com

مخبر تجديد البحث في تعليمية اللغة العربية في المنظومة التربوية الجزائرية

<sup>2</sup> جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، الجزائر، mmesirdi@gmail.com

تاريخ النشر: 2023/06/05

تاريخ القبول: 2023/05/26

تاريخ الاستلام: 2023/05/09

**ملخص:** يعد الأدب العجائبي ببعده الديستوبي أداة قوية للتعبير عن رؤى مستقبلية متشائمة أو متفائلة ، ولطرح أسئلة أخلاقية معقدة بطريقة إبداعية . اتخذ منه المبدعون العرب ملاذا آمنا يتيح لهم نقد المجتمعات التي أنتج فيها هذا الأدب، فيكشف عن ما تعانيه الشعوب من أنظمة الاضطهاد والظلم التي تقيد حرية التعبير ،معتمدا على الديستوبيا التي اتخذت من المجتمعات المشوهة والمستبدة ميدانا سرديا لها بعوالمه العجائبية التي منحت للسرد العربي المعاصر آفاقا جديدة لا تحدها الحدود ، تسمح للروائي بإعادة تشكيل العالم وفق رؤية فنية جديدة تفتح المجال للتفكير في إمكانية تحقيق مستقبل أفضل ، لتجنب آفات مستقبلية محتملة .

**كلمات مفتاحية:** الديستوبيا ، العجائبية ، المدينة، الرعب ،المسخ .

**Abstract:** Fantastic literature with its dystopian dimension is a powerful tool for expressing pessimistic or optimistic futuristic visions, and raising complex ethical questions in a creative way Arab creators have made use of this literature as a safe haven that allows them to critique societies in which this literature was produced, revealing the systems of oppression and injustice that restrict freedom of expression. Arab creators have made use of this literature as a safe cover that allows them to critique societies in which this literature was produced, revealing the systems of oppression and injustice that restrict freedom of expression. relying on dystopia that took distorted and despotic societies as a narrative field creating fantastic worlds that have given contemporary Arab narrative new horizons that know no bounds allowing the novelist to reshape the world according to a new artistic vision that opens the field for thinking about the possibility of achieving a better future, to avoid possible future afflictions.

**Keywords:** Dystopia , fantastic, City ,Horror, Metamorphosis.

## 1. مقدمة:

دأبت الرواية الكلاسيكية على سرد نمط حياة الطبقة البورجوازية ، بتصوير حياة القصور ، ومظاهر الثراء والرخاء ، وحرص الكتاب على خلق مدن مثالية أين تعيش شخصيات الرواية ، بعيدا عن حقيقة الواقع ، وهذا التصوير السردى ما هو إلا امتداد للفكر الفلسفى القديم ، الذي حاول الإجابة عن الأسئلة الوجودية عن طريق خلق مدن فاضلة مثالية تتحقق فيها رؤاهم المستقبلية حول الإنسان والمجتمع.

فالحياة في القرنين 17 و 18 م لم تكن سهلة، والجيل الذي عاش تحت طائلة الأعباء والمشقات ، كان يؤمن بالتقدم البشري و أكثر تفاؤلا بشأن مستقبل يسوده العدل والسلام ، وبسبب الحياة الشاقة التي عاشها الإنسان تلك الفترة من الزمن ، اتخذ من القصص والأساطير حول المدن الفاضلة متنفسا وهروبا من واقعه الصعب.

ومع إشراقة القرن العشرين ، بدأت الطبيعة البشرية والمجتمع الإنسانى يشهدان تغييرا جذريا، انطلق مع الحرب العالمية الأولى ثم تضخم بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث أن الوحشية والعنف اللذان ولدتهما الحروب ساهما في تدمير معتقدات التفاؤل الغربية التي امتدت لألفي سنة وتحولها إلى حالة من اليأس والشك في أن العالم قد يصير مكانا أحسن للعيش.

واستنادا لكل هذه المعطيات ، بدأ الأدب في تصوير ونقل هذه الأحاسيس السلبية، فخلق توجهها جديدا للكتابة لتلقته الرواية الجديدة ،مضاد للتفاؤل بمدينة فاضلة يوتوبية ، إذ عكس توقعات المجتمع لما هو آت من مستقبل بائس ، فظهرت العديد من الروايات الغربية الديستوبية ، المعبرة عن حالة العيشة واليأس والتي كانت قادرة على وصف توجسات

الإنسان وخوفه وتعريته قلقه تجاه حاضره ومستقبله ، فانتشرت ولاقت إقبالا عالميا ، وانتقلت إلى العالم العربي مشرقه ومغربيه.

وباعتبار الرواية الفن الأكثر استيعابا لمختلف قضايا الراهن والمجتمع ، انفتحت الرواية الجزائرية المعاصرة على أبعاد جديدة ، فلسفية وتاريخية، وحاولت استشراف المستقبل بالنظر إلى أوضاع الحاضر ، خاصة ما خلفه الاستعمار من فقر وتشرذ ودمار ، هذا الواقع المتأزم دفع بالروائي الجزائري إلى تجسيده وتصوير تلك النظرة المتشائمة حول مستقبل مظلم ، وهو ما دعا إلى إيجاد ديستوبيا (أدب المدينة الفاسدة) قادرة على استيعاب كل تلك المتغيرات.

وبما أن المكان في الرواية الجديدة أخذ صورة انزياحية ذهنية ، فهو لم يعد مكانا سطحيا يمكن تجاوزه ، بل إن عمقه الدلالي هو الذي يفرض قيمته النصية الجمالية ، اعتمد عليه الروائي عز الدين جلاوجي في النزول إلى قاع المجتمع ليصور مدى فظاعته ، ويعري قذاراته ، وينسف وهم المدينة الفاضلة. ، فطرح الروائي في روايته العجائبية "سرداق الحلم والفجيرة" عدة أبعاد ديستوبية تتغنى بمدينته الهجينة :كالألم ، العنف، المسخ ، التيهان ...ليضع المتلقي في دوامة من الأسئلة.

## 2. مفهوم الأدب الديستوبي:

يعد أدب الديستوبيا Dystopia أحد الألوان الأدبية المندرجة تحت أدب الخيال العلمي. فمصطلح الديستوبيا حسب معجم أكسفورد الإنجليزي يعني المكان الخبيث ، و هو الوجه الآخر لمصطلح اليوتوبيا Utopia وهي كلمة ذات أصل إغريقي تعود إلى الفيلسوف أفلاطون، ولكن ما هو مؤكد وثابت أن الكاتب توماس مور هو أول من استخدم مصطلح يوتوبيا عام 1515م في تسمية روايته المتعلقة بالجزيرة الخيالية<sup>1</sup>. و يصور الأدب الديستوبي ويطلق عليه أيضا أدب المدينة الفاسدة ، مجتمعا خياليا مرعبا ، تسوده الفوضى ، والقتل ،

المرض، وكل شيء غير مرغوب فيه، "يقع في المستقبل التألمي، يتميز بالتجرد من الإنسانية، وسيطرة الحكومات الشمولية، مجتمع يعاني من الفقر والتلوث والانهايار المجتمعي والقمع السياسي" <sup>2</sup>.

وتلتصق بالروايات الديستوبية، صفة الرعب، وهو رعب "مرتبط بالآتي من الزمن، استنادا إلى معطيات راهنة، وتهديدات واقعية، تهديدات تنطوي على ما يفضي إلى ترجيح رعب آت من المستقبل، وتخيل امتداداته في مراحل زمنية لاحقة" <sup>3</sup>، كما تهتم الديستوبيا بتصوير ما غفل عنه الآخرون من تفاصيل أشد واقعية من تصوير حياة الرفاهية والجمال، فهي تنتقل بالمدينة من مجرد مسرح للأحداث تتحرك فيه الشخصيات إلى أبعاد أخرى، أشد عجائبية، فهي تصور الوجه البائس لأي مدينة، وتكشف المسكوت عنه.

### 3. أهم الأعمال الروائية الديستوبية في الأدب الغربي

شهد القرن العشرين العديد من الأعمال الديستوبية مثل "المحاكمة" (1925م) لكافكا Kafka، لكن أشهر رواية في مجال الديستوبيا هي رواية "1984" ل ( جورج اورويل George Orwell) التي نشرها سنة 1949 م، والتي صنفنا من بين أفضل الروايات المستشرقة للمستقبل، حيث برع الروائي في توقع واقع مرير لمدينة فاسدة قائمة على الاستبداد والظلم.

من أهم الأعمال الديستوبية وأكثرها إثارة للجدل هي «عالم جديد شجاع Brave New World» لـ (الدوس هكسلي Aldous Huxley)، التي كتبها سنة 1931م ونشرها سنة 1932م يصور الكاتب فيها مجتمعا يستغني عن الزواج ويستخدم هندسة الجينات بطريقة علمية متطرفة للإنتاج البشري، والاستئناس للسيطرة على الأفراد، يولد الأطفال كلهم بهذه الطريقة ويصممون لينتموا إلى إحدى الفئات الاجتماعية الخمس المحددة: النخبة، التنفيذيون،

الموظفون، و المخصصون للأعمال الشاقة في المجتمع وسميت هذه الفئات حسب الأبجدية اليونانية ألفا، بيتا، غاما، دلتا، إبسلون، عمد الكاتب إلى تصوير عالم يقوم على العلم ويلغي إنسانية الإنسان ويستبدلها بالآلة .

ورواية " V for Vendetta " لآلان أوسوالد مور (Alan Oswald Moore) وهي من الروايات التي تحدثت عن مستقبل تقيد فيه الحريات بواسطة أنظمة قمعية ، تدور أحداثها في فترة ما بعد نهاية العالم في المملكة المتحدة ، بعد حرب نووية دمرت العالم وظهر حزب فاشي قضى على معارضيه ، ومنع حرية التفكير ، وبطل القصة رجل يثور على النظام ويحشد الشعب لإقناعه بالثورة على الفساد، حولت الرواية إلى فيلم سينمائي ولاق نجاحا باهرا.

ومن روايات الخيال العلمي التي تتدرج ضمن الديستوبيا رواية "القباء uglies «سكوت وسترفلد» المنشورة سنة 2005م، وهي ضمن ثلاثية روائية خيالية : القباء . (Uglies)الحسان. (Pretties) المميزون (Specials) تدور أحداث الرواية في المستقبل حيث يجبر من يبلغ السادسة عشر من عمره على اجراء عملية تجميلية وبرمجة دماغه ، فتتشكل معارضة ترفض هذا التغيير الاجباري ، وتبدأ بذلك المغامرة الخيالية.

بالإضافة لرواية "ألعاب الجوع The Hunger Games" للكاتبة الأمريكية Suzanne Collins سوزان كولنز ، رواية ديستوبية نشرت سنة 2008 م، مثلت هذه الرواية صراع الجوع في ألعاب تؤدي إلى الموت، تنظمها السلطة المتقدمة علميا وتكنولوجيا بينما تعاني المقاطعات الأخرى الجوع و الدمار الذي تلا نهاية العالم ، حيث تصور الروائية عالما مسقبليا خياليا مدمرا يتنافس فيه البشر من أجل متعة السلطة بسبب الجوع ، حيث يتنافس الأبطال المختارون على قتل بعضهم لينجو في الأخير واحد فقط.

لاقت الروايات الديستوبية في الأدب الغربي الحديث والمعاصر نجاحا كبيرا ، حين استطاعت أن تسلط الضوء على قضايا الواقع المعيش سياسيا وثقافيا واجتماعيا بطريقة تتكهن بمستقبل فوضي فاسد إذا لم يصلح الحاضر ، وأن تبث برسائل تنبه القارئ لمواضع مهمة تمس واقعه ، وقد استطاعت الرواية ذات النمط الديستوبي أن تتربع على عرش أكثر الروايات مبيعا في أمريكا وبريطانيا، واستفاد منها الروائيون العرب واستلهموا منها بعض الثيمات في مدوناتهم الديستوبية.

#### 4. الديستوبيا في الأدب العربي

يرتبط الأدب بسياق تاريخي واجتماعي ، يتأثر به ، ويترجم ذلك التأثير في النصوص الإبداعية، فما شهدته العالم العربي من انتفاضات الشعوب ، ومن حروب دمرت وقتلت وشردت، أثر في مختلف مجالات الحياة ، وقد انعكس الواقع المخيب بدوره على الروائيين العرب الذين أنتجوا نصوصا ديستوبية جاءت كردة فعل للواقع العربي المثقل بالنزاعات، ومن أهم الأعمال الديستوبية نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

في مصر ألف أحمد خالد توفيق -رحمه الله- رائعته " في ممر الفئران لمنشورة سنة 2016 م ، ورواية "يوتوبيا" سنة 2008م، التي تجمع بين مدينتين ، اليوتوبيا للأغنياء الذين عزلوا أنفسهم ، والمدينة المحطمة التي نهشها الدمار والفقر وانقطاع الكهرباء والتي بقيت للفقراء ، حاول الكاتب في متنه أن يسلط الضوء على الطبقة التي وسعت الفروق بين أبناء الوطن الواحد .

ورواية "عطارد" للكاتب محمد ربيع الصادرة سنة 2015م ، وهي رواية استشرافية لما سيصل إليه العالم العربي في عام 2025م. وفي فلسطين أصدر الروائي نصر الله إبراهيم روايته " حرب الكلب الثانية" سنة 2016م .

إن المتتبع للإنتاج الروائي العربي المعاصر ، يلحظ اهتمام الروائيين بهذا النمط من الكتابة في الآونة الأخيرة ، ما " يشير إلى أن أدب الديستوبيا اقترب من أن يكون ظاهرة عربية بامتياز ، وبالرغم من أن هذا الأدب قديم إلى حد ما لدى الغرب ، إلا أنه يعد حديثاً في العالم العربي الذي شاهد سابقاً أنواعاً أخرى من الأدب الفانتازي "<sup>4</sup> إلا أن هذا النزوع لم يجد صدًى كافٍ لدى النقاد الأكاديميين العرب ، إلا ما قد نشر من مقالات متفرقة حاولت رصد هذه الظاهرة في السرد العربي المعاصر .

ولم تكن الرواية الجزائرية كذلك بمعزل عن التأثيرات الاجتماعية، لأن شيوع روايات ديستوبية تهتم بتصوير المجتمع الجزائري المعاصر والتكهن بما قد تصل إليه الأوضاع ، جاء كرد فعل لما عاشه هذا المجتمع من تغيرات سياسية وثورات داخلية قلبت كل الموازين وسودت الحياة فشاعت رائحة الموت بدل رائحة الحياة ، فعلى الرغم من أن نشأة الديستوبيا قديمة غربية الأصل ، إلى أن الأدب العربي عامة والجزائري خاصة لم يلتفت إلى هذا النمط من الكتابة إلى حديثاً.

نتج عن الأحداث الدموية للثورة التحريرية، وما تلاها من أحداث العشرية السوداء عالم ديستوبي ، عاشه الروائي، وعبر عن ما رآه من استبداد الأنظمة وطغيان السلطة وظلم الشعوب ، وما نتج عنه من فوضى سادت الحياة الاجتماعية ، فانغمس الكاتب في هذه الفوضى علهم يجدون النظام ، فالغاية من الكتابة الديستوبية هي البحث عن عالم أفضل ، وعن اليوتوبيا المفقودة أو المدينة الفاضلة.

## 5. العجائبية والديستوبيا

تمثل الديستوبيا، مجتمعاً خيالياً سلبياً ومظلماً يتميز بالفساد والظلم والقمع والعنف. وقد تم استخدام الديستوبيا في الأدب العربي للتعبير عن المخاوف من المستقبل، وكذلك للتعبير عن الواقع السياسي والاجتماعي في المجتمعات العربية. ويمكن أن تشمل المواضيع

المطروحة في الديستوبيا السيطرة الحكومية والحرية الفردية والعدالة الاجتماعية والتحولات الثقافية . وتقوم الديستوبيا على عناصر خيالية وعلمية، ويستخدم الروائيون فيها الخيال بشكل مبالغ فيه لصنع عالم خيالي غريب وغير متوقع.

أما العجائبية فهي نوع من أنواع الأدب الخيالي، الذي يصف عالماً واقعياً معقداً ويضيف إليه عناصر خيالية وغريبة بشكل طبيعي وغير متوقع. وغالباً ما يلجأ الروائيون للعجائبية لإظهار العلاقة بين الواقع والخيال، وتعكس العجائبية أيضاً المفارقات والمتناقضات في الحياة، وتتميز بالأسلوب الشعري والمتعدد الأبعاد، وتضم عناصر من الواقع والتاريخ والخيال.

وبصفة عامة، تعد الديستوبيا والعجائبية لونين من السرد الخيالي الذي يفتح آفاقاً ، للاستكشاف والتعبير عن مختلف الأفكار والمفاهيم بطريقة خيالية وغير مألوفة، وتعكس العالم بطريقة مختلفة ومبتكرة.

## 6. ملامح الديستوبيا في رواية سرادق الحلم والفجيرة لعز الدين جلاوي

تهدف الرواية الديستوبية إلى التعبير عن ما ينتجه الفساد السياسي من فوضى وفساد وقمع ، وما يترتب عن ذلك من تدهور الحياة الإنسانية ، وانهلال المجتمع ، وتحطم الاقتصاد ، وهو ما سعى الروائي والأكاديمي "عز الدين جلاوي" إلى تصويره ، في روايته من خلال عدة مشاهد ديستوبية للمدينة التي اختار الكاتب أن تكون إحدى شخصيات روايته ، ومسرحاً لأحداثها في الآن ذاته ، حيث اشتغل الروائي على المدينة في جانبها التخيلي ، الذي ينقلنا من فضاء واقعي إلى فضاء مغامراتي .

فقد اهتدى جلاوي إلى بناء روايته على منظور خيالي محض يتجاوز الواقع إلى اللاواقع ، ويصوره بطريقة عجائبية ، فمثلت روايته "رواية كل الطقوس ، حضر فيها المقدس

والمدنس ، وتقلب بين طقوس متعددة ، ومنقلبة تقلب حال المدينة المومس التي تأنسنت فيها الحيوانات وتقلبت فيها الأدوار ، وتبادلت فيها الوظائف ، والممارسات ، حتى قاربت وتاخمت مع الحدود والأجواء الأسطورية <sup>5</sup> عن طريق توظيف شخصيات يحيط بها الغموض وتعيش القارئ في غربة مقلقة ، فالكاتب في روايته ، أخذ بلب القارئ ، ليعيشه تفاصيل خارقة للمألوف ، ملونة بألوان العجائبي ومخيفة ، لكنها انعكاس لواقع ربما يحجم الكثير عن تصديقه .

تحضر الديستوبيا في رواية سرادق الحلم والفجيرة ، كملح من ملامح العجائبية التي تلون هذه الرواية والتي جاءت على شكل حكايات صغيرة ، أبدع فيها الروائي عالما متخيلا يحيلنا على عالم كليل ودمنة ، حيث الشخصيات تمثلها حيوانات منحت القدرة على التواصل فيما بينها ، ويحكي تفاصيل هذه الحكايات الشاهد البطل ، و لا تخضع للتسلسل ولا يربطها إلا الفضاء الذي تجري فيه "المدينة المومس مقر اللغات كلها " ، هذا الفضاء الذي يبدو فيه البطل منفردا منعزلا لا يستوعب التحولات والامتساعات التي يعرفها العالم من حوله .

وبما أن الديستوبيا هي رواية تروي القبح وتصف الوجه الكابوسي الذي آلت إليه المدن بعد فسادها ، وتتأسس على " متخيل يرسم مجتمعا يقلص لدى أفرادها الحلم بالسعادة ، متخيل قائم على التخوف من الآتي ، ومغذ لهذا التخوف في آن ، على نحو تبدو فيه مدينة المستقبل قاتمة ، " <sup>6</sup> وهي القتامة التي تماهت مع أحداث الرواية وشخصياتها التي لم تسلم من هذا التشوه ، إذ يصدمنا الكاتب " عز الدين جلاوي " ، بشخصيات روايته ، والتي رسمها وفق منظور جديد ورؤيا تتجاوز كل ما اغتدى مألوفها في عرف الكتابة الروائية الجزائرية الجديدة ، فقد عمد إلى خلخلة وهدم مرجعياتها وتشكيلها بصورة عجائبية تتجاوز قوانين الطبيعة.

## 1.6 ديستوبيا الشخصيات

تتشكل الشخصيات في هذه الرواية بطريقة معاكسة للوضع الطبيعي ، تتير بذلك الاشمنزاز والسخرية ، إذ أصبحت السيادة في المدينة في يد الشخصيات الوضيعة فقد أمست السلطة للفئران وغابت القطط في حضرة الجرذان ، وهذا ما يصفه المشهد الآتي :

" من بالوعة القاذورات يخرج فأر أغبر يمشي الخيلاء...يبصر قطا متكوراً على نفسه...يضحك الفأر ضحكة هستيرية...يجري خلفه...يفزع القط يندفع فاراً تتناثر أعضاؤه هنا وهناك"<sup>7</sup>.

وظف الروائي المحكي الاستعاري والقلب في الموازين ، ليعكس حال البلاد التي تقلب فيها الأدوار ، فيُهان الكريم ويكرّم الوضيع . ولم يكتف بهذا بل عمد إلى تشويه الشخصيات التي تقطن المدينة الملعونة ، فمسخت فيها ، وامتساخ شيء يعني تحولا "للكائنات من جنسها المخلوقة عليه إلى جنس آخر بعيدة عنه ، مع احتفاظها بعد التحول ببعض السمات من جنسها الأول"<sup>8</sup>.

ولقد تنبه الروائي إلى أهمية هذه التيمة في الاضطلاع برسم حالة التشوه والتصدع الكبير الحادث على مستوى الواقع ، وقد تجلّى توظيف تيمة المسخ التي طالت سكان المدينة الملعونة في الصور التالية:

- صورة الغراب : وهو شخصية هامة في نسيج الرواية ، وقد جاءت صورته شديد الغرابة ، كثيرة الانزياح عن الصورة الطبيعية ، حاملة بين أوصافها تشوها خلقيا كبيرا ، يصف السارد في هذ المقطع : "الغراب نسيت أن أخبركم عنه، هو مخلوق متميز ، فريد من نوعه نحيف طويل ، صغير الرأس معروق الأصابع ، ركبت فيه كل أشكال الدمامات ، كل من يراه يعترف أن لا عين رأت ولا أذن سمعت ...ينتعل

حذاءه المعكوسة ، وينكمش فتغوص رقبتة في صدره حتى تتلاشى ، ويظهر رأسه صوانا بكماء وضعت دون مبالاة على كومة من عظام"<sup>9</sup>.

- صورة النسور : " وهي في الأصل فئران ضخمة الجثث ، متنكرة بزي النسور ، تضع أجنحة طويلة ومناقير حادة " <sup>10</sup> ، وتمثل هذه النسور أهل الحل والعقد في المدينة ، وهذا التكرار للفئران أحدث انزياحا محققا من خلال الجمع بين متناقضين : القوة والضعف ، (الفئران والنسور) .

- امتساخ الشاهد : في الصفحات الأخيرة يجمع جلاوجي بين طقوس اللعنة التي حلت بالشاهد إثر كشفه لمخبأ النسور/الفئران ، وبين حالة المسخ التي تعرض لها ، فقد تحول الشاهد إلى مصاص دماء في هيئة خفاش ، كما شخص ذلك المشهد التالي :  
"ضحكت ببلاهة ، وبلاهة... لقد فقد كل شيء كان في ذاكرتي .. وأحسست أ ، طبقة الشعر التي كانت تغطيني قد ازدادت كثافة ، وأن ذراعي قد بدأت تنبت زوائد صغيرة تشبه إلى حد بعيد جناحي الوطواط ..."<sup>11</sup>

لجأ الروائي إلى تقنية المسخ ليصور رؤيته للعالم الواقعي ، ومتنبئا بالصورة القاتمة التي قد يصل إليها بطريقة مزج فيها الخيال بالواقع لأن "أدب المدينة الفاسدة يتناول مجتمعا متخيلا ، مناوئا لقيم الفضيلة ، والعدل والخير ، والجمال والسلام ، منتصرا لمثالب الشر المطلق والخراب والقتل والقمع والفقر والمرض وفناء العالم على يد البشر ، أو هو باختصار عالم يتجرد فيه الإنسان من إنسانيته ، ويتحول المجتمع إلى قطعان من مسوخ يناحر بعضها البعض"<sup>12</sup> ، ولم يكتف جلاوجي بتشويه الشخصيات ، بل عمد إلى المكان وهو المدينة ، حيث "يفصح تشوه المدينة السوية وتحولها إلى مدينة فاسدة ، عن إخفاق السلطة الحاكمة التي تختزلها إلى مكان تكس فيه ما شاءت من تلوث الهواء وعشوائية السير

واتساع الجريمة وامتهان القانون وتكامل الرشوة والبقاء ، ونقيضا للمدينة التي تغنى بجمالها شعراء كثيرون.<sup>13</sup> ، فكانت مدينته مدينة اللغات ومنبع الفساد والفجيرة والألم.

## 2.6 ديستوبيا المكان:

منح جلاوجي في روايته المكان على مستوى الخطاب أوصافا خاصة ، عن طريق تجسيده ،وتحويله إلى شخصية روائية فاعلة تتجاوز وظيفتها الأساسية المتمثلة في كونها مسرحا للأحداث ، وجعله يتصدر واجهة السرد ، كونه بؤرة تشع منها المادة الحكائية ، وقد تجسد كل ذلك في صورة المدينة التي جاءت لتحمل دلالة امرأة بغي ، شوه الكاتب صورتها إلى أبعد حد حتى غدت صورة فجائية تبعث الرعب في نفس المتلقي وحتى الشاهد .

ويوضح السارد سبب تشوه المدينة وفسادها بأن لعنة حلت بها ، يقول : "وأما أوثق الروايات أن المدينة قد تعرضت لسنوات قحط وجفاف أكلت الأخضر واليابس...والأصل

والفرع...وصار الناس فيها في أسوأ حال ، فلما بلغ ذلك الأرواح الطاهرة المطهرة ، قامت بإرسال صرة من ذهب وجواهر مع غراب ، وطلبت منه أن يطير بها حتى إذا وصل المدينة قام بنشر ما حمل على رؤوس الجميع ، وحمل الغراب الصرة الكبيرة لكن نفسه الأمانة بالسوء حدثته سرا فأخذ تلك السرة إلى مدن أخرى مجاورة وجاء منها بصرة كبيرة مملوءة قملا وفئرا ، وحين حلق فوق المدينة صب كل ما حمل من قذارة على رؤوس الجميع ، ثم أنه فقد توازنه بفعل اللعنة التي لحقت به فسقط على ما رمى وتداعى عليه الشياطين الذين سكنوا المدينة فحولوه خلقا آخر " <sup>14</sup> .

تتحول المدينة في الرواية من مكان مقدس إلى مكان مدنس ، فهي تخرج من بعدها الجغرافي إلى البعد الأدبي أين أصبحت تقهقه ، وتضرب الأرض بكعبها وتدندن أغنياتها المفضلة وتلوك علكتها ، وتفتح ذراعيها لتمارس العهر جهارا نهارا.

"أيتها المدينة المومس

إلى متى تفتحين ذراعيك للبلهاء ...؟

إلى متى ترضعين الحمقى والأغبياء ...؟

إلى متى أيتها المدينة المومس تمارسين العهر جهارا دون حياء...؟

إلى متى تعرشين فوق مفاتنك الطحالب...الفئران والخنافس...تعلي قصورا.."<sup>15</sup>

فالمدينة باعتبارها مكانا تحولت إلى شخصية فاعلة ، لا ينفك مدلولها أن يكون صورة للخراب والدمار والموت والانحلال والرذيلة ، إنها مومس تبيح نفسها للعابرين من جردان ودود ، تبيح نفسها لكل هؤلاء لكنها تمتنع على القارئ الذي تصيبه الفجعة إذا ما أراد أن يلامس أسوارا ويكتشف أسرارها ، إنه يقف مدهوشا أما طقوسها ، إنه أمام مدينة مسخت مومسا لتكون مرتعا للثعالب والجرذان النسور ، مدينة نتنة تفوح منها رائحة العفن "إن المدينة تصب قاذوراتها فيهم.."<sup>16</sup> ،وكأن الروائي سعى جاهدا لمسح المدينة الفاضلة حلم كل فيلسوف ومفكر ، ومتعبد إلى مدينة مومس بعد أن سيطر أرذل أهلها (كالغراب وساعده نعل) عليها ، فأصبحت مرتعا للفئران والكلاب وجحافل الدود .

ولعل هذا ما كانت تصبو إليه نفس جلاوجي حين حصر ما آلت إليه حالة المجتمع من فساد وعدم استقرار ،والتي صورها في صورة المدينة المومس بفضائها المتعفن وسكانها الذين ما هم من بني الجان ولا الحيوان ولا الإنسان، وتتوالى مظاهر الديستوبيا في المدينة ، فها هو المقهى ، الذي لم يسلم من اللعنة يتصاعد دخانه " من الزاوية يغازل أنوف المؤمّنين معتقدا أنها مداخن، السقف ملعب تمارس فيه العناكب هوائتها المفضلة..."<sup>17</sup> فالمقهى هو مكان تجمع المدينة بالغراب وأتباعه من دود وفئران وثعالب ليمارسوا فيه عجزهم وركودهم وضياعهم .

وتزيد جرعة التخيل العجائبي حين يصف السارد مبولة المدينة ، أقدر مكان فيها :  
"قابلتني مبولة المدينة تفغر فاهها وقد سربل السوس كل أسنانها فتهاوت...هي أشبه ما  
تكون بفم عاهرة متقاعدة أدمنت الخمر والتبغ" <sup>18</sup> ومن شدة قذارة المبولة والتي قد اشتركت  
مع المدينة في العهر، كانت سببا في المسخ الذي يطال الشاهد في نهاية الرواية لأنه يسقط  
فيها ، فيدنس وتصيبه لعنة المدينة المومس.

كما لجأ جلاوجي ليعزز من البعد الديستوبي للمدينة إلى الظواهر الطبيعية فأنسها  
،بإضفاء ملامح محددة وتعابير بيّنة، وهو ما يظهر خلال المشاهد التالية:  
"الغيم المركوم يسعل سعالا جافا مرعبا حتى تهزأ له تهتز له رثنا المدينة المخروقتان" <sup>19</sup>.  
"انطفأت الشمس الشاحبة المريضة" <sup>20</sup>

وغايته من وراء ذلك بيان أن العدوى أصابت كل شيء في المدينة المومس حتى  
الظواهر الطبيعية خرجت عن أداء وظيفتها البيولوجية لتقوم بدور إنساني جديد يتماهى مع  
ذاتها الجديدة الفاسدة .

وإذا كانت المدينة المومس فضاء مدنسا فإن البطل الشاهد سعى جاهدا ليتجاوز فجيئته حلما  
بمدينة فاضلة نقية ، ومقدسة ، فتجلت في المدينة الحلم الممثلة في حبيبته نون، يقول:  
"آه مدينتي ...

عفوا أقصد حبيبتي لماذا تهرب منا اللحظات الرائعة الجميلة

أولم تكوني يوما ، ابتسامة بريئة أرصع بها قلبي المتوهج؟

أولم تكوني يوما نورا يملأ الآكام الضاحكة" <sup>21</sup>

إنها المدينة الحلم التي يحلم بها الروائي ، المكان المقدس الذي لم تدنسه أيادي الأرزال بعد  
أمثال السيد الغراب ومساعدته نعل:

"حسنا حبيبتى يل لون الفرخ والقمح البري..."

يا طعم الطفولة والحلم والليمون...

يا قامة الصفصاف وكبرياء السرو..."<sup>22</sup>

تتجلى قدرة الروائي في إغراء القارئ بجبروت المدينة المومس ، فيتماهى مع بطل الرواية /الشاهد وهو يجر خيالاته فيها ، وقد عمد الكاتب على ترك البطل مجهولا ، فظلت المدينة الفاضلة النقية حلما يراوده قبل أن يمسح هو الآخر ، ويصير من سكان المدينة الفاسدة ويخلف الغراب في حكمه لها ، لكن الروائي يترك لذلك الحلم وجودا ، من خلال الأمكنة المناقضة للمدينة المومس والتي لم تمسها اللعنة كالشلال المختبئ والذي يحمل في النص دلالة البقاء واستمرارية الحياة ، هناك كذلك الصخرة التي تحمل دلالة الصمود والمواجهة ، فقد كانت مصدر الحياة لموسى عليه السلام، وكانت مرقى الرسول إلى السموات العلا في حادثة الإسراء والمعراج بالإضافة إلى شجرة الزيتون وهي مصدر الحياة بالنسبة للبطل ومصدر الحنان والرأفة وهي كذلك رمز للأمن والسلام<sup>23</sup>.

## 7. خاتمة:

وفي الختام ، نخلص إلى أن الروائي والأكاديمي عز الدين جلاوجي ، قد ألبس المدينة في روايته دلالات جديدة فرضتها الصورة التي صورها فيها ، مما زاد في شساعة المتخيل الروائي ، وتضخم شحناته الدلالية .

كما استعان بالعالم الخارجي المعيش فأسقطه على إبداعاته ، برؤية ثاقبة وبأسلوب فني رائع لافت لأولي النهى والنباهة في تجسيده للقهر الاجتماعي في شكل ديستوبي ، والذي أوعز مصدره للقوى الخارجية التي يصعب على الضعيف مقاومتها ، في محاولته كشف النقاب عن واقع وحاضر كابوسي أضحى يعيشه الإنسان العربي يوميا ، من خلال تقنية المسح التي أسقطها على شخصيات روايته، والبعد العجائبي الذي اكتست به الرواية.

فالعجائبي ببعده الديستوبي يصوران العالم بطريقة مختلفة ومبتكرة، ويمكنهما توفير إمكانية الاستكشاف والتعبير عن مختلف الأفكار والمفاهيم بطريقة خيالية وغير مألوفة. علاوة على ذلك، يمكن للعجائبي والديستوبيا أن يعكسا بشكل مباشر وغير مباشر الواقع السياسي والاجتماعي في المجتمعات، بما فيه من أزمات ومشاكل التي يمكن أن تواجهها البشرية في المستقبل.

## 8. قائمة المراجع:

- <sup>1</sup> ينظر: نرمين صلاح القماح، أدب المدينة الفاسدة انتقال من الأدب الخيالي إلى الواقع الحقيقي، جريدة العرب، 2018/02/25 مقال متاح على الشبكة: <https://alarab.co.uk/en/node/158753>
- <sup>2</sup> المرجع السابق.
- <sup>33</sup> خالد بلقاسم، الحكم على أدبية الديستوبيا، بين الواقع والخيال، مجلة الدوحة، ع148، فبراير 2020، ص25.
- <sup>4</sup> فاطمة برجاني، الديستوبيا (المدينة الفاسدة) في الرواية العربية المعاصرة، قراءة في رواية أوروبيل في الضاحية الجنوبية لفوزي ذبيان
- مجلة إضاءات نقدية، ع29، آذار 2018م، ص132
- <sup>5</sup> آمال ماي، العجائبية في رواية سراق الحلم والفجيعة، لعز الدين جلاوي، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، ع9، 2013. ص290.
- <sup>6</sup> خالد بلقاسم، الحكم على أدبية الديستوبيا، ص25.
- <sup>7</sup> عز الدين جلاوي، سراق الحلم والفجيعة، دار هومة، الجزائر، ط1، 2000. ص10.
- <sup>8</sup> نبيل حمدي الشاهد، العجائبي في السرد العربي القديم –مائة ليلة وليلة والحكايات العجيبة والأخبار الغريبة نموذجاً، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2012. ص365.
- <sup>9</sup> عز الدين جلاوي، سراق الحلم والفجيعة، ص31.
- <sup>10</sup> المصدر نفسه، ص109
- <sup>11</sup> المصدر نفسه، ص119
- <sup>12</sup> محمد الشحات، تمثيلات الديستوبيا في الرواية المصرية الجديدة، سردية مضادة لمدن الخراب، مجلة الدوحة، ع148، فبراير 2020، ص30
- <sup>13</sup> فيصل دراج، تغير الأزمنة ومدينة الفساد، مجلة الدوحة، ع148، فبراير 2020، ص24
- <sup>14</sup> - سراق الحلم والفجيعة، ص88.
- <sup>15</sup> سراق الحلم والفجيعة، ص9

<sup>16</sup> سراق الحلم والفجيرة ، ص 11.

<sup>17</sup>- المصدر نفسه ، ص 13.

<sup>18</sup> المصدر نفسه ، ص 24

<sup>19</sup> عز الدين جلاوي ، سراق الحلم والفجيرة ، ص 60

<sup>20</sup> المصدر نفسه ، ص 31

<sup>21</sup> سراق الحلم والفجيرة ، ص 26

<sup>22</sup> سراق الحلم والفجيرة ، ص 27

<sup>23</sup>- عبد الحميد هيمه، علامات في الإبداع الجزائري ، دراسات نقدية ، رابطة أهل القلم ، سطيف ، الجزائر ، دط، دت ، ص116.